عذاب آدم

بعد خطيئة آدم وحواء كانت عقوبتهما أولا : أن ينزلا من السماء إلى الأرض . وثانيا : أن يعمل آدم وتلد حواء !

فآدم يموت إذا لم يعمل ، ويموت إذا عمل .

وكل حياته هى عمل ، وبحث عن فرص للعمل ، وتنظيم للعمل ، وبيع لنتائج العمل ، ومحاربة لمن يستغل عمله ، وراحة من العمل . وإذا عمل آدم تعذب ، وإذا لم يعمل فإنه يذبل ويختنق ويموت . فآدم يشكو من الحياة ، ومتاعب الحياة ، ولكنه لا يفكر فى أن يقف عن التنفس ، ولا يتوقف عن صنع الأدوات التى يعيش بها .

وعذاب حواء هو أن تحمل وتلد وترضع أطفالها وترعاهم . وقبل الحمل والولادة عذاب آخر : هو اختيار الرجل الذى يصبح أباً لأطفالها ، وحامياً وراعياً لهذه الأسرة الصغيرة . ولم تعرف المرأة معنى (اختيار) الرجل إلا أخيراً جداً ، فى حين عرفت الحيوانات والحشرات معنى الاختيار بالغريزة . فالنحلة تختار أقوى ذكور الخلية ليكون أباً للألوف من صغار النحل . والحيوانات عرفت أنسب الذكور . أما المرأة فملأنها حيوان اجتماعى ، ولأن الأسرة هى خلية المجتمع ، فقد كانت الأسرة هى التى تفرض عليها الرجل المناسب . فالأسرة هى التى تملك القدرة على الاختيار . ولكن لما تعلمت المرأة عرفت وآمنت بأن أساس الحياة هو الحرية .. هو الاختيار . فاختارت المرأة الرجل الذى تستريح إلى حبه وإلى عنايته . وتخبطت المرأة مئات السنين فى اختيار الأب

المناسب لأولادها . وعلى الرغم من أن المرأة تتعذب كثيراً فى الحمل والولادة ، لأن أعظم أعمالها هو أن تأتى بمخلوق جديد . فإن هذا هو العمل الوحيد الذى تنفرد به المرأة . ولا يستطيع الرجل أن ينافسها فيه . ويظهر أن الطبيعة لا تريد الرجل ، أو ترى أنه غير ضرورى ؛ لذلك جعلت المرأة أقوى جسمياً وأقدر على التحمل ، وفى استطاعتها أن تنجب أكثر من طفل مرة واحدة .. وكان من نتيجة اشتغال الرجل أن أصبح عدد الموتى من الرجال أكثر من عدد الموتى من النساء !

ولابد أن خبث الرجل هو الذى جعله يفتح الأبواب أمام المرأة لكى تعمل ؛ أى لكى تعرف نوعاً آخر من العذاب غير الحمل والولادة . والمرأة تتعب فى عملها . تتعب لأنه عمل ، وتتعب لأنه يشكك فى قدرتها على أن تتساوى مع الرجل ، وتتعب لأنه يبعدها عن البيت وعن الزوجية . إن اشتغال المرأة يبدد (الهالة) التى يعيش فيها الرجل كإنسان عامل .. ولكن من المؤكد أن العذاب الحقيقى للرجل العامل ، هو أن نتيجة عمله ، الفلوس ، تبددها المرأة بسهولة .. فليس العذاب فقط أن يعمل الرجل ، ولكن العذاب أن (تلعب) المرأة بعمل الرجل !

يجب أن يعيش

لابد أن الفراعنة آمنوا بنظرية تقول : إن السيارة يجب أن تكون جاهزة . . كل عددها سليمة . وبها بنزين وماء وزيت ورخصة قيادة . فإذا جاء صاحبها تسلل إليها ، وفى لحظات تنطلق !

ولهذا السبب اهتم الفراعنة بجثمان الميت ، فهم يدفنون الميت فى مكان جاف . ويحنطون الجثة ، أى يحرصون عليها حتى لا تتعفن ، ويضعون إلى جوارها طعام الميت وكل ثروته .. ويضعون خطابات التوصية بأنه إنسان طيب ، وأنه كان محبًا لوالديه وأهله — أى ترخيص الحياة الجديدة !

ولكن الطب على مر العصور أثبت أنه لا يمكن الاحتفاظ بجسم الميت سليما ، وأنه ليس من الضرورى أن يكون للإنسان جسم لكى تعود إليه الحياة بعد الموت ، فالروح تكفى .. والله قادر على أن يعيد لكل روح جسمها .

وإذا كنا لا نحنط الأجسام الآن ، فلأن الجسم ليس ضروريًا للحياة بعد ذلك ..

بل ليس ضروريًا أيضاً أن نهتم كل هذا الاهتمام بالموت والموتى .. فالموت نهاية نتوقعها جميعاً ، ولا مفر منه . وما دمنا جميعاً سوف نموت ، فلماذا نتصرف كأننا موتى .. لماذا نتصرف كأننا محكوم علينا بالإعدام . يجب أن نعيش . والذى يموت أخذ نصيبه من الحياة . فلماذا يأخذ نصيبنا نحن أيضاً. لقد هانت فكرة الموت عند الناس ، فالحروب قد أكلت الملايين ، وحوادث المواصلات وحوادث المستشفيات كلها تقضى على حياة الملايين .

فالموت ليس شيئاً غريباً . إنه شيء مخيف ولكنه مألوف .

وبرغم اهتمام الناس بالموتى ، فإن هذا الاهتمام قد تناقص فى كل الدنيا .. إن أهل الفقيد يكتفون بخبر عن وفاته ، ويكتفون بتشييع الجنازة ، ولا عزاء للسيدات ، وبإحياء ذكراه مرة كل عام ، ثم يستأنف كل إنسان حياته من جديد . إن مقتل كنيدى لم يمنع أحد القساوسة من أن يلمس بيديه أرملة الفقيد . ومذكرات جاكلين كنيدى تقول إنها رأت الجنس فى عينى رجل الدين !

إن مسرحية « تينيسى وليامز » الجديدة التى اسمها « مملكة الأرض » تعرض علينا أن أخاً يموت أمام عين أخيه .. وأخوه يرفض إنقاذه ، ولكنه مشغول بمعاكسة أرملته ، ومشغول أيضاً بالثروة التى سوف يملكها .. وعندما مات الأخ كانت أرملته تمزق وثيقة الزواج فى أحضان أخيه . . وزوجها الجديد .. إنها صورة قاسية ولكنها الحقيقة أيضاً !

والناس حين يفكرون فى الموت ، يفكرون فى أنفسهم .. يريدون من الأحياء أن يذكروهم أيضاً ويترحموا عليهم . . ولكنا ركاب قطار ، نطلع وننزل ونتساقط .. ولا يتوقف القطار !

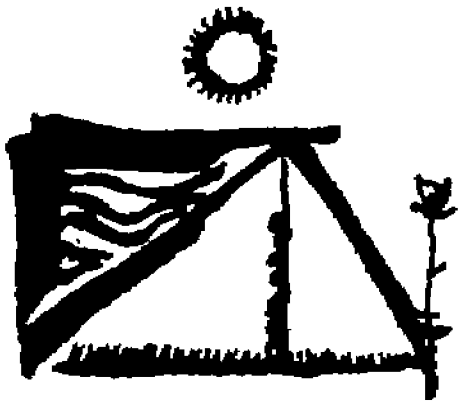

مجرد جهاز تسجيل

نحن الآن فى عصر الانقلاب الصناعى الثانى . .

أما الانقلاب الصناعى الأول فقد كان فى القرن ١٨ عندما اخترع الإنسان الآلة البخارية التى وفرت مجهوده العضلى ، والتى قربت المسافات على الأرض وفى البحر .. أهم من هذا كله أن هذه الآلة البخارية قد ضاعفت الإنتاج وأدت إلى تعطيل الأيدى العاملة !

والعصر الذى نعيش فيه هو عصر « العقل الإلكترونى » . أى العقل الذى ينقل إليه الإنسان جزءاً من معلوماته العقلية . ويتركها هناك تحت أمر من يريدها . والعقل الإلكترونى يضم خلاصة ما فى عقول ملايين الناس فى كل فروع المعرفة الإنسانية : فى العلم والفن والأدب والدين والفلسفة والتاريخ ..

وإذا كان الله قد خلق الإنسان على صورته . أى عاقلا روحيًّا ، فإن الإنسان قد خلق العقل الإلكترونى على صورته هو . أى ماديًّا حديديًّا .

وعن طريق دراسة الإنسان لأعصابه هو وأعصاب الكثير من الحيوانات مثل الضفادع والقرود . عرف الإنسان سر تكوين الأعصاب وسر تكوين قدرتها على الاحتفاظ بالمعلومات . وكيف تدخل المعلومات إلى أعصاب الإنسان . وكيف يتم تنظيمها . ثم كيف يتم اختزانها ، ثم كيف يمكن استدعاؤها فى أى وقت ..

ولاشك أن اتساع مجالات العلم قد جعل من الصعب على أى إنسان أن يعرف كل شىء عن أى شىء . ومن المستحيل طبعاً أن يعرف

الإنسان كل شيء عن كل شيء . فالتخصص فى العلم جعل عالم الكيمياء لا يعرف شيئاً آخر غير الكيمياء . وعالم التاريخ يتخصص فقط فى التاريخ . وهذا التخصص جعل العلماء يشعرون بالغربة أو الجهل إذا تعرضوا لمجالات أخرى غير مجالاتهم .. فهم كالذى لا يعرف إلا لغة واحدة . فإذا سافر إلى بقية بلاد العالم فإنه لا يعرف التفاهم مع أحد .. ولذلك كان لابد من البحث عن طريقة سهلة لتوصيل المعلومات إلى العلماء فى كل المجالات . فالعالم الذى يدرس الأسماك فى حاجة إلى معرفة جاذبية الأرض ، والأشعة الكونية . وملوحة الماء وتقلبات الجو . وهو لا يستطيع أن يلم بكل هذه الأشياء ، وهنا فقط يمكن أن يتدخل العقل الإلكترونى : أى ذلك الجهاز الذى سجل عليه العلماء معلوماتهم فى كل شيء على أشرطة مغناطيسية . وعلموه أيضاً كيف يجمع المعلومات ، وكيف ينظمها ، وكيف يصونها ، وكيف يقدمها لمن يضغط على زرّ .

ولم يعد الإنسان فى هذا العصر فى حاجة إلى أن يسهر طول الليل يتابع الأقمار الصناعية ، ويغير مداراتها ، ويصحح أخطاءها . إنه يترك هذه العمليات الفلكية الشديدة التعقيد للعقول الإلكترونية . أى العقول التى خلقها الإنسان .

إن الإنسان قد جعل الآلة صورة منه .. جعل عدسات المراصد بدلا من عينيه . وجعل الصواريخ بدلا من ساقيه ، وجعل الرادار بديلا عن أذنيه .. وهذه العقول الإلكترونية تنوب عن عقله .. ولكن هذه العقول لا تستطيع أن تفكر وتبدع .. إنها فقط (تعيد) ما أعطيناها .. وهى عاجزة عن خلق عقل إنسانى ! ..

والعقل الإلكترونى دليل على عبقرية الإنسان ، والعقل الإنسانى دليل على عظمة الله !

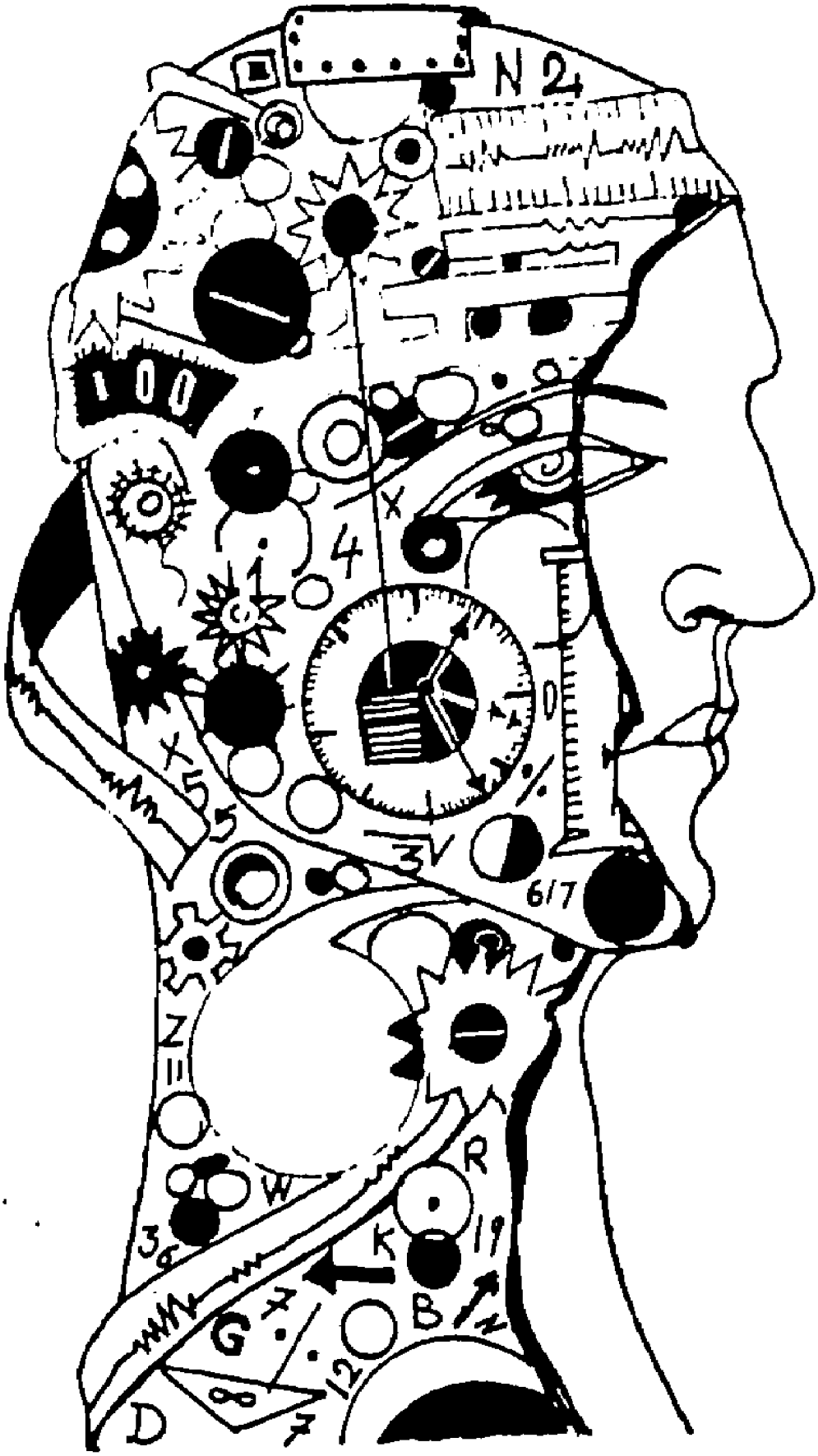

العقل الإلكتروني مجرد جهاز تسجيل

الفنان المغامر

روبنز : الفنان الهولندى ، الذى سرقت لوحته من معرض سراى الجزيرة ، كان من أشهر جواسيس ومغامرى القرن السادس عشر ، وكان تاجراً ، وكان فاجراً أيضاً .

وقد صاحبته الفضائح والسرقات طوال عمره . لما ولد كان بعد فضيحة وقع فيها أبوه ، فقد كان أبوه من رجال القانون ، وكان على صلة غرامية بإحدى الأميرات . ولما سافر زوج الأميرة فى إحدى المعارك العسكرية ، ترك الأميرة فى أحضان الدكتور روبنز . وتحدث الناس . ولكن حديث الناس لم يصل إلى أذن الأمير .. ولما عاد فوجئ بأن الدكتور روبنز يقبل الأميرة ، فألقى به فى السجن . ومن السجن بعث الدكتور روبنز باعتذار غريب يقول فيه : إن العار الذى لحق بسموك كان من الممكن أن يكون أقسى من ذلك ، فقد كان من الممكن أن تجد زوجتك فى أحضان رجل جزار !

وقرر الأمير نفى هذا الرجل الوقح . وبعد ذلك بسنة ولد الفنان روبنز فى المنفى ، ومات أبوه ، وقد ورث الفنان كل صفات أبيه ... فأجاد الرسم ، وأجاد تقبيل النساء أيضاً . وكان رسّاماً تاجراً . كان يبيع لوحاته . وكان يترك لوحاته لتلاميذه الصغار يرسمونها .. وقبل أن ينتهوا من هذه اللوحات يمدّ فرشاته يصلح منها ، وبسرعة وأستاذية تصبح اللوحة عملا فنيّاً رائعاً .

وعن طريق النساء اشتغل بالسياسة ، فى السلك الدبلوماسى .. وحمل لوحاته وفرشاته إلى قصر الملوك يرسم ويسمع ، ويجمع ثمن

اللوحات . وينقل ما سمع ويبيعه فى قصور أخرى . ويحاول أن يصلح ما بين قصور فرنسا وإسبانيا وإنجلترا .

وفى أول زيارة لفرنسا ، تقدم إلى الملكة ، وبدلا من أن يقبل يدها ، اقترب أكثر ليقبل خدها ، ثم تردد بين رأسها وشفتيها واختار شفتيها .. وكانت فضيحة كبرى .

وربما كان الشىء الوحيد الذى يذكره له التاريخ هو عبقريته فى اختيار الألوان .. ولكن الشىء الذى يبقى له من الناحية الإنسانية هو أنه رسم لوحة للحرب . جعل فيها الحرب شيئاً بشعاً . وكان يريد بذلك أن يوقف الاستعداد للحرب عند أحد الملوك . ونجح روبنز .

وعندما تزوج للمرة الثانية رسم زوجته فى كل الأوضاع المحترمة والفاضحة . وفى إحدى المرات حاولت زوجته أن تقبله عندما رأت نفسها جميلة فى إحدى لوحاته . فرفض قائلا : أنا أرسمك فقط !

وفى الأيام الأخيرة كان عاجزاً عن الحركة . فقد اشتد عليه مرض النقرس ، فكان يرسم واقفاً على ساق واحدة . وقبل وفاته بساعات هجم أحد اللصوص على البيت ليسرق لوحاته ، فحاول أن يمسكه فسقط على الأرض . . ونجحت الزوجة فى القبض على اللص ..ولم يتردد الفنان روبنز فى أن يقبل زوجته ويموت !